القسم الثالث

القسم الثالث

(من كتاب مَطْمَحِ الأنفُس ومَسْرَحِ التأنّسْ فى مُلَحِ أهْلِ الأندلسْ)

وهو يشتمل على محاسن الأعيان من الأدباء

وبالله المستعان، وعليه التكلان.

(وهو لم يذكر فى قلائد العقيان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأديب الشاعر
النبيه أبو عمر يوسف بن هارون
المعروف بالرمادي *

شـــاعر مفـــلق انفراج له من الصناعة المغلق ، وومض له برقها المؤتلق ، وســـال بها طبعه كالماء المندفق ، فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق ، فتارة يحزن وأخـــرى يسهل ، وفى كلتيهما بالبديع يعل وينهل ، فأشتهر عند الخاصة والعامة بالطباعة فى الفريقين ، وابداعه فى الطريقين ، وكان هو وأبو الطيب متعاصرين ، وعـــلى الصـــناعة مـــتغايرين ، وكلاهما من كنـــدة وما منهما إلا من اقتدح فى الإحســـان ، ومـــا قصر فى إحسان ، ولا جاز بينهما فيصل أبان وتمادى بأبى عمر وطـــلق العمـــر حتى أفرده صاحبه وندمه ، وهريق شبابه واستشن أديمه ، ففارق تلك الأيام وبهجتها ، وأدرك الفتنة فخاض لجتها ، وأقام فرقاً من هيجانها ، شرقاً بأشجانها ، ولحقته فيها فاقة نهكته ، وبعدت عنه الافاقة حتى أهلكته ، وقد أثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ، ولا يمكنك نقده ، فمن ذلك قوله :

---

* كان كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة لسلوكه فى فنون المنظوم . توفى سنة ٤٠٣ هـ ، وهو قرطبى .

انظـــر المـــزيد فى : جذوة المقتبس ٣٤٦ ، بغية الملتمس ٤٧٨ ، الصـــلة ٦١٣ ، المطرب ٣ ، شذرات الذهب ٣/ ١٧٠ ، نفح الطيب ٢/ ٤٤٠ .

شطت نواهم بشمس من هوادجهم لولا تلألؤها فى ليلهن عشـــوا
شكت محـاسنها عينى وقد عذرت لانها بضمير القلب تتجـــمش
شعر ووجه نبـارى فى افتخارهما بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها أفى فرشى منها نكست وإلا الطيف والفرش

(وله أيضـــــاً)

فى أى جارحة أصون معـــــذبى سلمت من التعذيب والتنكيـل
ان قلت فى عينى فثم مدامـــعى أو قلت فى قلبى فثم غليـــلى
وثلاث شينات نزلن بمفـــــرقى فعلمت أن نزولهن رحيـــلى
طلعت ثلاث فى طلوع ثلاثـــة واش ووجه مراقب وثقيـــل
فعذلتنى عن صبوتى فلئن ذللـــ ـــت فقد سمعت بذلة المعـذول
إن كنت ودعت التصابى عن قلى وبدت برأسى حجة لعـــذول
فقد أغتدى والصبح فى توريســه تقضى العيون له بوجـــه عليل
بأقبّ لـــون الآبنوس مفضض فى غرة منه وفى تحجيـــل
مستغرق لصفات زيد الخيـــل والغنوىّ والمربىّ والضليـــل
يزهى بتحلية اللجام كما زهـــى ملك محلى الرأس بالإكليـــل
فله الملاحظ من حبيب هاجـــر للصب أو متكبر لذليـــل

(ومنهـــــــا)

وكأنما فل الخطوب لحـــــازم قبل الجياد بحده المفـــــلول
حتى إذا صدنا الوحوش فلم تدع منهن غير معالم وطـــــلول
قامت قوائمه لنا بطعامنـــــا غضا وقام العرف بالمنديـــل

(ومنهـــــــــا)

ومكبل لم يحترم حرمـــــــا ولا ... دانت سحائبه بغير كبـــــول
متدرع بالوشى إلا أن مـــــــد ... رعه يحاك عليه غير طويـــــل
فكأنما بلقيســـــا عليه إذ دنت ... فى الصرح رافعة لفضل ذيـــول
متقلب كتقلب المرتاع يقســـم ... لحظة فى الحول بعد الحـــــول
حتى إذا ما السرب عن لطرفـــه ... أو ما نجا فيقول خل ســـبيلى
أرسلته فى أثرهن كأنهن عصـــين ... لى أمراً وكان رســـــولى
ولت سراعا ثم شـــد وراءهـــــا ... فكأنه بطل وراء رعيـــــل
عجلت فأدركها ردى فى أثرهـــا ... إن الردى قيد لكل عجـــول
فقضى على سبعين ضار خطمـــه ... هو عقدة التعبير فى التمثيـــل

(ومنهـــــــــا)

حتى إذا حمل السحاب بجيـــــده ... لم تحتمله فرائـــــض المحمول

(وله أيضـــــاً يتغزل)

أومى [1] لتقبيل البساط خنوعـــاً ... فوضعت خدى فى التراب خضوعاً
ما كان مذهبه الخنوع لعبـــده ... إلا زيادة قلبـــه تقطيعـــــاً
قولوا لمن أخذ الفؤاد مســـلماً ... يمنن علىّ برده مصدوعـــــاً
العبد قد يعصى وأحـــلف أننى ... ما كنت إلا سامعاً ومطيعـــاً
مولاى يحيى فى حيـــــاة كاسمه ... وأنا أموت صبابة وولوعـــاً
لا تنكر وأعيث الدموع فكل ما ... ينحل من جسمى يكون دموعـــاً

---

(1) وردت هذه الأبيـــــات فى قلائد العقيـــــان .

وكـــان كلف بفتى نصرانى استحسن لباس زناره ، والخلود معه فى ناره ، وخـــلع بروده لمسوحه ، وأساغ الأخذ عن مسيحه ، وراح فى بيعته ، وغداً من شيعته ، ولم يشرب نصيبه ، حتى عليه صليبه ، فقال :

أدرها مثل ريقك ثم صـــــلب كعادتكم على وهمى وكاســـى
فقضى ما أمرت به اجتلابـــــا لمسرورى وزاد حنـــوع رأسى

(وله أيضاً فى مثله)

ورأيت فوق البحـــــــر درعا فاقعا من زعفـــــــــران
فزجرته لوبى ســـــــــقا مى بالنوى والزجر شـــــانى
يا من نـــــــأى عنى كما ينأى لعينى الفـــر قـــــــدان
فأرى بعينى الفرقديـــــــــــ ـــن ولا أراه ولا يرأنـــــــى
لا قـــــدرت لك أوبـــــــة حتى يؤوب القارظـــــــــان
هل ثم إلا الموت فـــــــــر دا لا تكون منيتـــــــــــان

(وله ايضاً رحمه الله)

اشرب الكأس يانصير وهـــات إن هذا النهار من حســـناتى
بأبى غرة ترى الشمس فيهـــا فى صفاء أصفى من المـــرآة
تسرع الناس نحوها بازدحـــام كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يا نصير أنا اجتمعنـــــا لقلوب فى الدين مختلفـــات
أنما نحن فى مجلس لهـــــــو نشرب الراح ثم أنت مـــوات
فإذ ما أنقضى دنان على الهـــ ـــو اعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقصف لعددنا هذا من الســـــيئات

وشـــاعت عنه أشعار فى دولة الخليفة وأهلها • سدد إليهم صائبات نبلها • وســـقاهم كؤوس سهلها • أو غرت عليه الصدور • وفغرت عليه المنايا ولكن لم يســـاعدها المقدور • فسجنه الخليفة دهرا • وأسلكه من النكبة وعرا • فاستعطفه أثـــناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الإحسان وأقطفه فما أصغى إليه • ولا ألقى عنه موجدته عليه • وله فى السجن أشعار صرح فيها ببثه • وأفصح فيها عن جـــل الخطـــب لفقـــد صبره ونكثه • فمن ذلك قوله • لك إلا من شجوى يزيد تشوقى :

(ومنهـــــــــــا)

فوافى بنو الزهراء فى حال خلة ... تلائم لاستيغالهم فى التوثيـــق
وحولى من أهل التأدب مأتـــم ... ولا جؤذر إلا بثوب مشـــفق
فلوأن فى عينى الحمام كروضها ... وإن كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى فتغافلت ... فهلا أجابت وهو عندى لمحنق
أعينى إن كانت لدمعك فضله ... تثبت صبرى ساعة فتدفـــق
فلو ساعدت قالت أمن قلة الأسى ... تبقت دموعى أم من البحر تستقى

(ومنهـــــــــــا)

تكلفنى أن أعتب الدهـــر أنها ... لجاهلة من لى بأعتاب محنـــق
وقالت تظن الدهر يجمع بيننا ... فقلت لها من ولى بظن محقـــق
ولكننى فيها زجـــرت بمقلتى ... زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الأشعار فى مثل بعدنا ... فلما التقت بالطيف قالت سنلتقى
أباكية يوما ولم يأن وقتـــــه ... سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى
ومذ لم ترينى أنت فى ثوب ضـــائع ... لعمرى لقد حفت بعى ممـــزق

(وقال أيضاً فى السجن)

نسائلها هلا كفاك نحـــو له ... ونصيبه أو دمعه وهمولـــــه
تكنفه همان شجو وصبـــوة ... فبلغ واشيه المنى وعذولـــه
فان تستبين فى وجهه هم سجنه ... فقد غاب فى الاحشاء عنك دخيله
معنى بكتمان الحبيب وحبـــه ... فان يقتل الكتمان فهو قتيـــله

(ومنهـــــــا)

وأقبلن من نحو الحبيب كأنمـــا ... تحاشد نحو جفنه ونصولـــه
دعونى أشم بالباب برق أحبنى ... قواما فلم يسمح بذاك وكيله
يعم فلا يألو حصـــادا لعله ... سيودى فيودى بثه وأليـــله
فلو كان فى هذا الحصاد سميه ... لأنساه طول السبع فى اليوم طوله
لقد راعنى سجنى فشط ولو دنا ... من السجن لم يسهل على دخوله
يعز على الورد النضير حلوله ... ولم يك عند المستهام نزوله

(وله أيضـــــــاً)

على كبرى تهمى السحاب وتذرف ... وعن جزعى تبكى الحمام وتهتف
كأن السحاب الواكفات غواسلى ... وتلك على فقدى نوائح هتف
ألا ظعنت ليلى وبان قطينهـــا ... ولكننى باق فلوموا وعنـــفوا
وآنست فى وجه الصباح لبيتها ... نحو لا كأن الصبح مثلى مدنف
وأقرب عهد رشفة بلت الحشا ... فعاد شتاء بارداً وهـــو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها ... من الردف فى نيد الخلاخل ترسف

(وله ايضـــــاً)

مقلتى ضرجتك بالتوريـــد ... فدعى لى قلبى ومنها استفيدى

الفقيه

أبو بكر بن القوطيه *

صاحب الأفعال فى اللغة والعربية ، ممن له سلف ، وثنية كلها شرف ، وأبو بكر هذا أحد المجتهدين فى الطلب، والمشتهرين بالعلم والأدب، والمنتدبين للعلم والتصنيف ، والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف، وكان له شعر نبيه ، وأكثره أوصاف وتشبيه، فمن ذلك قوله فى زمن الربيع :

ضحك الثرى وبذلك استبشاره ... فأخضر شاربه وطر عذاره

ودنت حدائقه وازر نبته ... وتعطرت أنواره وثماره

وأعتز ذابل كل ماء قرارة ... لما أتى متطلعاً آذاره

وتعممت صلع الربى بنباته ... وترغمت من عجمة أطياره

---

* هو محمد بن عمر عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسى أبو بكر المعروف بابن القوطية مؤرخ من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب، أصله من إشبيلية ومولده ووفاته بقرطبة سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م ، له كتاب " الأفعال الثلاثة والرباعية" وهو الذى فتح هذا الباب، و"المقصور والمدود" و"تاريخ فتح الأندلس" و"شرح رسالة أدب الكتاب" وكان شاعراً صحيح الألفاظ واضح المعانى، إلا أنه ترك الشعر فى كبره .

الفقيه

القاضي الأجل يونس بن عبد الله

ابن مغيث قاضي الجماعة بقرطبة *

فاضل ورع مبرز فى النساك والزهاد ، دائم الارق فى التخشع والسهاد، مع التحقق بالعلم والتميز بفضله ، والتحيز إلى فئة الورع وأهله ، وله تصانيف فى الزهد والتصوف منها كتاب المنقطعين إلى الله وكتاب المجتهدين وأشعار فى هذا المعنى منها قوله :

فررت إليك من ظلمى لنفسى ... وأوحشنى العباد وأنت أنسى
قصدت إليك منقطعاً غريباً ... لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى
وللعظمى من الحاجات عندى ... قصدت وأنت تعلم سر نفسى

---

* هو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد المعروف بابن الصفارقاص أندلسى من أهل قرطبة من متصوفة العلماء بالحديث، كان قاضياً ببطليوس وأعمالها فخطيباً بجامع الزهراء مع خطة الشورى وقلده الخليفة هشام بن محمد المروانى القضاء بقرطبة مع الوزارة سنة ٤١٩ هـ ثم أقتصر على القضاء إلى أن مات سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨م. وكان قد ولد سنة ٣٣٨ هـ / ٩٥٠م ، صنف كتباً منها " الموعب" فى شرح الموطأ و "فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل" و"التسلى عن الدنيا بتأميل خير الأخرة" و"الابتهاج بمحبة الله تعالى" و "التيسير والتسبيب والاختصاص والتقريب" و "فضائل المتهجدين" وجمع " مسائل ابن زرب" وله نظم حسن فى الزهد وما شابهه .

انظر المزيد فى : بغية الملتمس ٤٩٨ ، الصلة ٦٢٢ ، المغرب فى حلى المغرب ١٥٩/١ .

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة تقدم إلى والده أبي محمد بالكون في صحبته، ومسايرته في غزوته، فأعتذر بعذر يجده، والألم لا ينجده، فقال له الحكم إن ضمن لي أن يؤلف في أشعاره خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاه، وجازيته أفضل المجازاه، فأجابه إليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم أنه رحل مرور، وأن ذلك الموضع ممتنع على من لم يلم به ويزور، فألفه بدار الملك المطلة على النهر، وأكمله فيما دون شهر، وتوفي بعد المستنصر في غزاته ومن شعره قوله:

أتوا خشية أن قيل جد نحسو له ... فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصاً في فراشي فلم يروا ... ولا لمسوا شيئاً يدل على جسم
طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى ... وليس بمحسوس بعين ولا وهم

(وله أيضاً رحمه الله)

ديار عليها من بشاشة أهلها ... بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا ... برودا وحلاها من النور جوهرا
تسرك طورا ثم تشجوك تارة ... فترتاح تأنيثاً وتشجى تذكرا

الفقيه
أبو الحسن علي بن أحمد
المعروف بابن سيده *

إمام فى اللغة والعربية، وهمام فى الألفة الأدبية، وله فى ذلك أوضاع للإفهام أخلافهـا استدزار واسترضـاع ، حررها تحريراً، وأعاد طرف الذكاء بها قريراً، وكـان منقطعاً عـلى الموفق صاحب دانيه، وبها أدرك أمانيه ، فآثر تجرده للعلم وفـراغه، وتفرد بتلك الاراغة ، ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم ، فأنه أبدع كتاب فى اللـغة وأحكم ، ولما مات الموفق رائش جناحه، ومثبت عرره وأوضاحه، خاف

---

* هو على بن أحمد وقيل ابن إسماعيل أبو الحسن النحوى اللغوى المعروف بابن سيده الضرير الأندلسى، إمـام فى اللغة والعربية، جمع فى اللغة كتاب " المحكم" يقارب عشرين مجلداً، لم ير مثله فى فنه ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه، وهو فى وقف التاج البندهى بدمشق فى رباط الصوفية، لو حلف الحالف، أنه لم يصنف مثله لم يحنث، وله غير ذلك من الكتب الأدبية. وكان نادرة وقته وله شعر جيد، وكان منقطعاً إلى الأمير أبى الجيش مجاهد بـن عبد الله العامرى ، ولما مات حدثت لـه بنوة ممن خلفه فرحل عن مستقره إلى بعض الأعمال المجاورة، ثم استعطفه بقصيدة طويلة، صرف القول فيها، فعطف له ورجع ومات قريباً من سنة ستين وأربعمائة .

انظر المزيد فى : بغية الملتمس ٤٠٥ – ٤٠٦ ، بغية الوعاة ٣٢٧، المختصر فى أخبار البشـر ٢/١٨٦، البداية والنهاية ١٢/ ٩٥، جذوة المقتبس ١٣٣– ١٣٤ ، وفيات الأعيـان ١/ ٣٤٢ ، الديباج المذهب ٢٠٤ – ٢٠٥ ، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٥ – ٣٠٦ ، الصلة ٢/ ٤١٠ – ٤١١ ، لسـان الميزان ٤/ ٢٣١ – ٢٣٥ ، نفح الطيب ٤/ ٣٥١، نكت الهميان ٢٠٤ – ٢٠٥ .

مـن ابـــنه اقبال الدولة، وأطاف به مكروه بعض من كان حوله ، للطلب كحيات مساوره ، ففر إلى بعض الأعمال المجاوره. وكتب إليه منها مستعطفاً .

ألا هل[1] إلى تقبيل راحتك اليمنى ... سبيل فان الأمن فى ذاك واليمنا

فتنضو هموم طلحته خطوهـــا ... فلا غاربا يبقين منه ولا متنـــا

غريب نأى أهلوه عنه وشـــفه ... هو أهم فأمسى لا يقر ولا يهنا

فيامك الأملاك أنى محـــــلاً ... عن الورد لا عنه إذاد ولا أدنى

تحققت مكروها فاقبلت شاكيـــا ... لعمرى أما مأذون لغيرك أم يعنى

وأن تتأكد فى دمى لك نيـــــة ... فأنى سيف لا أحب له جفنـــا

إذا ما غداً من حر سيفك بـــارداً ... فقد ما غداً من برد نعماكم سخنا

وهل هى إلا ساعة ثم بعدهـــا ... ستقرع ما عمرت من ندم سنا

ومالى من دهرى حياة الذهـــا ... فترجعها نعمى علىّ وتمتنـــا

إذا ميتة أرضتك منا فهـــاقها ... حبيب إلينا ما رضيت به عنـــا

---

[1] ورد هذه الأبيات فى فوات الوفيات للصفدى .

الفقيه

أبو محمد غانم بن الوليد

المخزومي المالقي *

عـــالم متفرس ، وفقيه مدرس ، وأستاذ مجود ، وإمام أهل الأندلس مجود ، وأمـــا الأدب فكان جل شرعته ، ورأس بغيته ، مع فضل وحسن طريقه ، وجد فى جميع أموره وحقيقة ، ولـه شعر :

صيْر[1] فؤادك للمحبوب مترلةً ... سَمَّ الخياط مجال للمُحبِّيْن

ولا تســـامحْ بغيضاً فى معاشرةٍ ... فقلما تسع الدنيا بَغيضينِ

(ولـه أيضـــــــاً)

الصبر أولى بوقار الفـــــتى ... من قلق يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حـــــاله ... كان على أيامه بالخيـــار

---

* هـــو غـــانم بن الوليد بن عمر بن غانم الأشوني الساكن بمالقة عالم جليل مذكور فى المائة الخامسة . وقال الحميدى : فقيه مقدم وأستاذه فى الأداب وفنونها مجود مع فضل وحسن طريقة.

انظـــر : الحلة ٢/ ٥٧ ، بغية الوعاة ٣٧١ ، الصلة ٤٥٠ ، بغية الملتمس ٤٢٨، معجم الأدباء ١٦/ ١٦٧، الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٣٤٥ .

(١) وردت الأبيات فى المغرب فى حلى المغرب ٢/ ٣١٧ .

الفقيه
الإمام العالم الحافظ أبو عمرو
يوسف بن عبد الله بن عبد البر •

• هـو الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى ولد سنة ٣٦٨ هـ ، وطلب الحديث قبل مولد الخطيب بأعوام ، وأجاز له من مصـر الحـافظ عبد الغنى وساد أهل الزمان فى الحفظ والاتقان ، قال الباجى ، لم يكن بالأندلس مثله فى الحديث ، له " التمهيد " شرح الموطأ و " الأستذكار " مختصـره و "الاسـتيعاب فى الصـحابة " و " وفضل العلم " و " التقصى على الموطأ " و " قبائل الرواة" و " الشواهد فى إثبات خبر الواحد " و " الكنى " و " المغازى " و " الأنساب " وغير ذلك .

قـال الغسـانى : سمعـته يقول : لم يكن أحد ببلدنا مثل قاسم بن محمد وأحمد بن خالد الجبـاب ، قال الغسانى : ولم يكن أبو عمر بدونهما ولا متخلفاً عنهما .

وإنـتهى إليه مع إمامته علو الإسناد وولى قضاء أشبونه مدة ، وكان أولاً ظاهرياً ثم صار مالكياً، فقيهاً حافظاً مكثراً عالماً بالقراءات والحديث والرجال والخلاف ، كثير الميل إلى أقوال الشافعى، مات سنة ٤٦٣ هـ عن ٩٥ عاماً .

انظر المزيد فى : جمهرة أنساب العرب ٣٠٢ ، جذوة المقتبس ٣٦٧ ، ترتيب المـدارك ٨٠٨/٤ ، الصله ٦٧٧/٢، وفيات الأعيان ٦٦/٧ ، المختصر فى أخبار البشر ١٨٧/٢، تذكـرة الحفاظ ١١٢٨/٣ ، دول الإسلام ٢٧٣/١ ، سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨ ، العـبر ٢٥٥/٣ ، المشـتبه ١١٧/١ ، تتمة المختصر ٥٦٤/١ ، مرآة الجنان ٨٩/٣ ، البـداية والنهاية ١٠٤/١٢ ، الديباج المذهب ٣٦٧/٢ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ ، روضات الجنات ٢٣٩/٤، الرسالة المستطرفة ١٥، شجرة النور الزكية ١١٩/١.

إمـــام الأندلـــس وعالمها ، الذى التاحت به معالمها ، صحح المتن والسند، وميز المرسل من المسند ، وفرق بين الموصول والقاطع ، وكسا الملة منه نور ساطع حصر الرواة ، وأحصى الضعفاء منهم والثقاة ، وجدّ فى تصحيح السقيم ، وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم ، مع معاناة العلل ، وأرهاق ذلل الغلل ، والتنقيف والتنبية وشـــرح المقفل ، واستدراك المغفل ، وله فنون هى للشريعة رتاج ، وفى مفرق الملة تـــاج ، شـــهرت لـــلحديث ظـــبى ، وفـــرعت لمعرفه ربى ، وهبت لتفهمه شمالاً وصـــبا،وكان ثقـــه، والأنفـــس على تفضيله متفقه ، وأما أدبه فلا تعبر لجته ، ولا تدحـــض حجـــته ، وله شعر لم أجد منه إلا ما نفث به عن أنفه ، وأوصى فيه عن معـــرفه فمن ذلك قوله وقد دخل إشبيلية فلم يلق فيها مبره ، ولم ير من أهلها تملل أسره ، فأقام بها حتى أخلقه مقامه ، وأطبقه اغتمامه ، فارتجل وقال

تنكر من كنا نسر بقربـــــــــه ... وصار زعاقا بعد ما كان سلسلا
وحق لجار أن يوافق جـــــــاره ... ولا لأمته الدار أن يتحـــــولا
بليت بحمص والمقام ببلـــــــدة ... طويل لعمرى مخلق يورث البلى
إذا هان حر عند قوم أتاهـــــم ... ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الأمثال إلا لعالـــــم ... وما عوتب الإنسان إلا ليعقـــلا

(وله أيضاً يوصى ابنه بمقصورة)

تجاف عن الدنيا وهون لقدرهـــا ... ووفّ سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بيقوى الله سراً وجهـــرة ... فلاذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله فى كل نعمـــة ... يمن بها فالشكر يستجلب النعمى
فدع عنك مالا حظ فيه لعاقـــل ... فان طريق الحق أيلج لا يخفـــى
وشبّح بأيام بيقين قلائـــــل ... وعمر قصير لا يدوم ولا يبقـــى

ألم تر أن العمر يمضي موليـــــا ... فجدته تبلى ومدته تفنـــــــى
نخوض ونلهو غفلة وجهالـــــة ... وتنشر أعمالاً وأعمارنا تطـوى
تواصلنا فيه الحوادث بأعـــادى ... وتنتابنا فيه النوائب بالبلـــوى
عجبت لنفس تبصر الحق بيننـــا ... لديها وتأبى أن تفارق ماتـــهوى
وتسعى لما فيها عليه مضـــــرة ... وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها ولست بآيـــــس ... وربى أهل أن يخاف وأن يرجـــــى
وإن كان ربى غافر ذنب من يشـا ... فأنى لا أدرى أكرم أم أخـــــزى

الفقيه
الأجل الحافظ أبو بكر بن العربى *

عـــلم العـــلم الطاهر الأثواب ، الباهر الألباب ، الذى أنسى ذكاء اياس ، وترك التقليد للقياس ، وانتجع الفرع من الأصل ، وغدا فى بدء الإسلام أمضى من النصل،ســـقى الله بـــه الأندلس بعد ما أجدبت من المعارف ، ومد عليها منه الظل

---

* هـــو ابن العربى العلامة الحافظ القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلى، ولـــد سنة ٤٦٨ هـــ ورحل إلى المشرق وسمع من طراد الزينى ونصر بن البطر ونصر المقدســـى وأبى زكـــريا التبريزى ، وجمع وصنف وبرع فى الأدب والبلاغة وبعد صيته وكـــان متـــبحراً فى العلم ، ثاقب الذهن ، موطأ الأكناف ، كريم الشمائل ولى قضاء إشـــبيلية فكـــان ذا شدة وسطوة ثم عزل فأقبل على التأليف ونشر العلم وبلغ رتبة الاجـــتهاد ، صـــنف فى الحديـــث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ. مات بفاس سنة ٥٤٣ هـــ.

انظر المزيـــــد فى : الصلة ٥٩٠/٢ ، بغية الملتمس ١٧٩ ، المغرب فى حلى المغرب ٢٥٤/١ ، وفيـــات الأعيان ٢٩٦/٤ ، تذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤ ، دول الإسلام ٦١/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠ ، العبر ١٢٥/٤ ، الوافى بالوفيات ٣٣٠/٣ ، مـــرآة الجنان ٢٧٩/٣ ، البداية والنهاية ٢٢٨/١٢ ، المرقبة العليا ١٠٥ ، الديباج المذهب ٢٥٢/٢ ، النجوم الزاهرة ٣٠٢/٥ ،طبقات المفسرين للداودى ١٦٢/٢، جـــذوة الاقتـــباس ١٦٠ ، أزهار الرياض ٦٢/٣ ، نفح الطيب ٢٥/٢ ، شـــذرات الذهب ١٤١/٤ ، سلوة الأنفاس ١٩٨/٣ ،شجرة النور الزكية ١٣٦/١ .

الـــوارف، وكســـاها رونق نبله ، وسقاها رائق وبله ، وكان أبوه باشبيلية بدار فى فلكها ، وصدراً فى مجلـــــس ملكـــها ، واصطفاه معتمد بنى عباد ، اصطفاء المـــأمون لأبى عـــباد ، وولاه الولايات الشريفة وبوأه المراتب المنيفه ، فلما أقفرت حمـــص من ملكهم وخلت ، وألفت ما فيها وتخلت ، رحل إلى المشرق ، وحل فيه محـــل الخـــائف الفـــرق ، فجـــال فى أكنافه ، وأجال قداح الملك فى أستقبال العز واســـتئنافه ، فـــلم يسترد ذاهباً ، ولم يجد كمعتمدة باذلاله واهباً فعاد إلى الرواية والســـماع ، فى آمال تلك الأطمـــاع ، وأبو بكر إذ ذاك قضيب ما دوح ، وفى زهـــر الشباب زهر ما صوح ، فألزمه مجالس العلم رائحاً وغاديـــاً ، ولازمه سابقاً إليها وجارياً ، حتى استقر به مجالسه واطردت له مقايسه ، فجد فى طلبه ، واستجد به أبوه متمزق أدبه ، فأدركه حمامه ، ووارته هناك رجامه ، وبقى أبو بكر منفرداً ، وللطـــلب متجرداً ، حتى أصبح فى العلم وحيداً ، ولم تجد عنه رئاسته محيداً ، فكر إلى الأندلـــس فحـــلها والنفوس إليه متطلعه ، ولأنبائه مستمعة،فناهيك من حظوه لقى، ومن غرة سقى ، ومن عزة سما إليها ورقى ، وحسبك من مفاخر قلدها ، ومن محاســـن أنـــس نبتها فيها وقلدها ، وقد أثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافاً ، وترد الإفهام مطافاً ، فمن ذلك قوله يتشوق إلى بغداد ، ويخاطب فيها أهل الوداد .

أمتك سرى والليل يخدع بالفجـــر ... خيال حبيب قد حوى قصب الفخر
سرى ظلم الظلماء مشرق نورهـــا ... ولم نخض الظلماء بالا نجم الزهـــــر
ولم يرض بالأرض البسيطة مسحبا ... فصار على الجوزاء لى فلك يســـرى
وحث مطايا قد مطاها بعـــــزة ... فأوطأها قسرا على قمة النســـــر
فصارت ثقالاً بالجلالة فوقهـــــا ... وسارت عجالاً تتقى ألم الزجـــــر
وجرت على ذيل المجرة ذيلهـــــا ... فمن ثم يبدو ما هناك لمن يجـــرى

وسارت على الجوزاء توضع فوقها فأثار ما مرت به كلف البـــــــدر
وساقت أريج الخلد فى جنة العلـــى فدع عنك رملا بالا نيعم يستدرى
فما حذرت قيسا ولا خيل عامـــر ولا أضمرت خوفا لقاء بنى ضمير
سقى الله مصرا والعراق وأهلهـــا وبغداد والشامين منهمل القطـــــر

الفقيه

أبو بكر بن أبي الدوس رحمه الله*

مـــن أبدع الناس خطا ، وأوضحهم نقلاً وضبطاً ، اشتهر بالإقراء واقتصر بذلـــك على الأمراء ، ولم يحظ لسواهم ، ومطل الناس بذلك ولواهم ، وكان كثير الـــتحول ، عظـــيم التجول ، لا يستقر فى بلد ، ولا يستظهر على حرمانه بجلد ، فقذفـــته النوى ، وطردته عن كل مثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات ، وبها مات ، وكان له شعر بديع يصونه أبداً ، ولا يمد له يداً ، أخبرنى من دخل عليه بالمربة فرآه فى غايـــة الإملاق ، وفى ثياب أخلاق ، وقد توارى فى منزله توارى المذنب ، وقعد عـــن الناس قعود محتنب ، فلما علم ما هو فيه وعلم ترفعه عمن يجتديه ، عاتبه فى ذلك الاعتزال ، وأخذه حتى استزله بفيض الاستزال ، وقال لـــه : هلاً كتبت إلى المعتصم ، فما فى ذلك ما يصم فكتب إليه :

إليك أبا يحيى مددت يد المنـــــى ... وقد ما غدت من جود غيرك تقبض

وكانت كنور العين يلمع فى الدجى ... فلما دعاه الصبح لباه ينهـــــــض

---

* ورد ذكره فى جذوة المقتبس ، معالم الإيمان .

الفقيه

القاضي أبو الفضل يوسف بن الأعلم *

كهـــل الطريقة ، وفتى الحقيقة ، تدرع الصيانه ، وبرع فى الورع والديانة ، وتماســـك فى الدنيا عفافاً ، وما نملك التماساً بأهلها والتقافاً ، فاعتقل إليه وتنقل فى مراتـــبها ، وأســـتقر فى مناصبها ، وعطل أيام الشباب ، ومطل فيها لسعاد وزينب والـــرباب ، وأدرك مـــن المعلومات ما أدرك ، وتعرى من الشبهات ، وسرى إلى الرشـــد مستيقظا من تلك السنات ، وله تصرف فى شتى الفنون ، وتقدم فى معرفة المفـــروض والمســـنون ، وأمـــا الأدب فلم يجاريه فى ميدانه أحد ، ولم يتسول على إحسانه فيه حصر ولا أحد ، وجده أبو الحجاج الأعلم ، هو خلد منه خلد ، ومنه تقلد ما تقلد ، وقد أثبت لأبى الفضل هذا ما يسقيك ماء الإحسان زلالاً ، ويريك سحر البيان حلالاً ، فمن ذلك ما كتب إلىّ وقد مررت على سنت ماريا هـــذه داره ، وبها كمل هلاله وابداره وبها استقضى ، وشيم مضاؤه وانتضى ، فالتقينا بها عـــلى ظهر ، وتعاطينا ذكر ذلك الدهر ، فجددت من شوقه ما قد كان شب على طوقه فرامنى على الإقامة ، وسامنى ذلك بكل كرامه ، فأبيت إلا النوى ، وانثنيت على الثوا بذلك المثوى ، فودعنى ، ودفع الىّ هذه القطعة حين شيعنى :

بشراى أطلعت السعود علـــــى ... آفاق أنسى بدرها كمـــــلا

وكسا أديم الأرض منه سنـــــا ... فكست بسائطها له حلـــلا

أيه أبا نصر وكم زمـــــــن ... نصر إدراكك عندى الأمـــلا

هل تذكرن والعهد يخجلـــــنى ... هل لذكرن أيامنـــــا الأولا

---

* ورد له ترجمة فى جذوة المقتبس ، الذخيرة لأبن بسام ، التكملة للمنذرى .

أيام نعثر فى أعنتـــــــــــا ونجر من أبرادنا حلـــــــلا
ونحل روض الإنس مؤتنفـــــــا وتحل شمس مرادنا الحمـــــلا
ونرى ليالينا مساعفـــــــــة يدعو الينا وفقنا الجفـــــــلا
زمن نقول على تذكـــــــــره ما تم حتى قيل قد رحـــــلا
عرضت لزورتكم وما عرضـــــت إلا لتمحق كل ما فعـــــــلا

ووافيـــته عشـــية مـــن العشـــايا أيام ائتلا فنيرنا ، وعدنا إلى مجلس الطلب وأختلافـــنا، فرأيـــته مشرفاً متطلعاً ، يرتاد موضعاً ، يقيم به لثغور الأنس مرتشفاً، ولثديه مرتضعاً ، فحين مقلنى ، تقلدنى إليه واعتقلنى ، وملنا إلى روضة قد سندس الـــربيع بساطها ، ودبج الزهر درانك أوساطها، وأشتهرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها، فأقمنا بها نتعاطى كؤوس أخبار، ونتهادى أحاديث جهابذة وأحبار، إلى أن نثر زعفران العشى، وأذهب الأنس خوف العالم الوحشى، فقمت وقام ، وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام ، وقال :

وعشية كالسيف الا حـــــده بسط الربيع بها لنعلى خـــده
عاطيت كأس الأنس فيها واحدا ماضرة إذ كان جمعا حـــده

وتنزه يوماً بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها، وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ، ويبتسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء ، فقال :

أنظر إلى الأزهار كيف تطلعت بسماوة الروض النجود نجوما
وتساقطت فكأن مسترقا دنـــا للسمع فانقضت عليه رجوما
وإلى مسيل الماء قد رقمت بها صنع الرياح من الحباب رقوما

ترمى الرياح نثيرا زهـــــره فتمده فى شاطئيه رقيمـــــا

(وله يصف قلم يراعه ، وقد برع فى صنعته أعظم براعة)

ومهفهف ذلق صليب المكسر سبب لنيـــل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونـــه بقديم صفرته لآل الأصفـــر
ماضره أن كان كعب يراعـــه وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

(وله عند ما شارف الكهولة ، واستأنف قطع صرة كانت موصوله)

أما أنا فقدار عويت عن الصبى وعضضت من ندم عليه بنانى
وأطلعت نصاحى ورب نصيحة جاءوا بها فلججت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى مرحا وأعثر فى فضول عنـانى
وأجل كأسى أن ترى موضوعة فعلى يدى أو فى يدى ند مانى
أيام أحيى بالغوانى والغنـــا وأموت بين الراح والريحـان
فى فتية فرضوا اتصال هواهـم ومناهم دنا من الادنـــان
هزت علاهم اريحيات الصبـا فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع إلا عنة لم يـل فى عية بتصرف الازمـــان

ولـــه حين أقلع وأناب ، وودع ذلك الجناب ، وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك ، وثاب يوماً يتجرد من أمله، وينفرد فيه بعمله :

الموت يشغل ذكـــــره عن كل معلوم ســـواه
فأعمر له رابع ادكـــــ ـارك بالعشية والغـــداه
وأكحل به طرف اعتبـــ ـارك طول أيام الحيـــاه
قبل ارتكاض النفس مـــا بين الترائب واللهـــاه
فيقال هـــــذا جعفر رهن بما كسبت يـــداه

هذه العين ذنبها ما ذكرنـــا أى ذنب لقلبى المعمـــــود
لو تردت بحجة العين مـــاذا لم تعاقب بالدمع والتســهيد
بلغ الياسمين فى القدران قــد لف من خدها بورد نضيـــد
كل سيء أتوب عنه ولا تــو بــة لى من هوى الحسان الغيد
من لعان منهن غير طليـــق وسقيم منهن غير معـــــود
شهدت أدمعى بوحدى وزو رن لشأنى إذ خانه مخلــودى
أيها اللائمى على الحب مهلا هل تلام الحمام فى التغريـــد

(وله أيضـــــاً)

فقدت دموعى يوسفا فى حسنه فغدوت يعقوبا بشدة وجــده
وعميت مما قد لقيت من البكى حتى مسحت على الجفون ببرده

(وله أيضـــــاً)

قلبتـــه قـــدام قسيســه شربت كاسات بتقديســـه
يقرع قلبى عند ذكــرى له من فرط شوقى قرع ناقوسه

وســجن معه غلام من أولاد العبيد فيه مجال . ومن نفس متأمله من لوعته أوجال . فكتب يخاطب الموكل بباب السجن بقطعة منها :

حبيسك ممن اتلف الحب قلبه ويلذع قلبى حرقة دونها الجمر
هلال وفى غير السماء طلوعه ورئم ولكن ليس مسكنه القفر
تأملت عينيه فخامرنى السكر ولاشك فى أن العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول وإنمـــا أناطقه عمدا لينثر الـــــدر
أنا عبده وهو المليك كما اسمه فلى منه شطر كامل وله الشطر

الأديب

أبو القاسم محمد بن هانيء *

عــلق خطير . وروض أدب مطير . غاص فى طلب الغريب حتى أدرج دره المكــنون . وبهــرج بافتنانه فيه كل الفنــون . وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتقلد . ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولد . زهت به الأندلس وتاهت . وحاســنت ببدائعه الأشمس وزاهت . فحسد المغرب فيه المشرق . وغص به من بالعراق وشرق . غير أنه نبت به أكنافها . وسحت عليه آنافها . وبرئت منه . وزوى الخــير فيها عنه . لأنه سلك مسلك المعرى . وتجرد من التدين وعرى . وأبدى الغلو . وتعدى الحق المجلوء فمجته الأنفس . وأزعجته الأندلس . فخرج عــلى غير اختيار . وما عرج عن هذه الديار . إلى أن وصل الزاب واتصل بجعفر ابــن الأندلسية . مأوى تلك الحنسيه . فناهيك من سعد ورد عليه فكرع . ومن باب ولج فيه وما قرع . فاسترجع عنده شبابه . وانتجع وبله وربابه وتلقاه بتأهيل ورحب . وسقاه صوب تلك السحب . فأفرط فى مدحه وزاد . وفرغ عن تلك المــزاد . ولم يــتورع . ولا ثناه ذوورع . فله بدائع يتحير فيها ويحار . ويخال لرقتها أنها أسحار . فأنه اعتمد فى التهذيب والتحرير . واتبع فى أغراضه الفرزدق

---

* ورد لــه ذكره فى الحلة ١/ ٣٠٤ – ٣٠٥ ، ج ٢ ٣٩١ وهو من أهل البيان والبلاغة والخطابــة . هو محمد بن هانىء بن محمد بن سعدون الأزدى الأندلسى أبو القاسم يتصل نســبه بالمهلب بن ابى صفرة ، اشعر المغاربة على الإطلاق وهو عندهم كالمتنبى عند أهل المشرق، وكانــــا متعاصرين . ولد بإشبيلية ٣٢٦ هــ/ ٩٣٨ م ، ومــــات سنة ٣٦٢هــ/ ٩٧٣ م .

مع جرير . وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد . وما شاء منها اقتاد . وقد أثبت له ما تحن له الأسماع . ولا تتمكن منه الأطماع . فمن ذلك قوله :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحفـــا ... وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجى ... بشمعة صبح لا تقط ولا تطفـا
أغض غضيض خفف البين قده ... وثقلت الصهباء أجفانه الوطفـا
ولم يبق ارعاش المدام له يـــدا ... ولم يبق أعنات التثنى له عطفـا
يريق قصاه السكر إلا ارتجاجـه ... إذا كلّ عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانـــة ... أما يعرفون الخيزرانة والحقـــفا
جعلنا حشا منا ثياب مدامنـــا ... وقدت لنا الأزهار من جلدها لحفـــا
فمن كبد توحى إلى كبد هـوى ... ومن شفة تومى إلى شفة رشفـــا

(منهـــــــــــــا)

كأن السما كين اللذين تراهمـــا ... على لبدتيه ضامنان له حتفـــا
فذ رامح يأوى إليه سنانـــــه ... وذا أعزل قد عض أنمله لهفـــا
كأن سهيلا فى مطالع أفقـــــه ... مفارق إلف لم يجد بعده إلفـــا
كأن بنى نعش ونعشاً مطافـــل ... بوجرة قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سناها عاشق بين عـــود ... فآونة يبدو وأونة يخفـــــى
كأن قدامى النسر والنسر واقـع ... قصصن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين حوم طائـــرا ... أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل إذا مال ميلـــه ... صريع مدام بات يشربها صرفـا
كأن عمود الصبح خاقان معشـــر ... من الترك نادى بالنجاشى فاستخفـى
كأن لواء الشمس غرة جعفـــر ... رأى القرن فازدادت طلاقته لطفا

فتقت لكم ربح الجلاد بعنبـــــر وأمدكم فلق الصباح المسفـــــر
وجنيتم ثمر الواقع يانعـــــــاً بالنصر من ورق الحديد الأحـمر
أبنى العوالى السمهرية والسيـوف المشرفية والعزيز الأكبـــــــر
من منكم الملك المطاع فانـــــه تحت السوابغ تبع فى حميـــــر
جيش تعد له الليوث وقوفهـــا كالغيل من قصب الوشيج الأخضـر
وكأنما سلب القشاعم ريشهـــا مما يشق من العجاج الأكـــدر
لجق القبول مع الذبور وسار فـى جمع الهرقل وعزة الاسكنـــــدر
فى فتية صدأ الحديد لباسهـــــم فى عبقرىّ البيض جنة عبقـــرى
وكفاه من حب السماحة أنـــه منها بموضع مقلة من محجـــــر

(ومنهـــــــــــــا)

نعماؤه من رحمة ولباســـــــه من جنة وعطاؤه من كوثـــــر

(وله أيضاً من قصيدة فى جعفر بن على بالطوى)

ألا يا أيها الوادى المقدس بالطوى وأهل الندى قلبى إليك مشـوق
ويا ملك الزاب الرفيع عمـــاده بقيت لجمع المجد وهو فريـــق
فما أنس لا أنس الأمير إذا غـداً يروع بحرى ملكه ويـــروق
ولا الجود يجرى من صفيحة وجهه إذا كان من ذاك الجبين شـروق
وهزته للمجد حتى كأنما جرت فى سجاياه العذاب رحيـــــق
أما وأبى تلك الشمائل أنهـــا دليل على أن النجار عتيـــق
فكيف بصبر النفس عنه ودونـه من الأرض مغبر الفجاج عميـق
فكن كيف شاء الناس أوشئت دائماً فليس لهذا الملك غيرك فـــوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبـة فما نلتها إلا وأنت حقيـــق

(وله من قصيـــــــــــــــــده)

خليلى أن الزاب منى وجعفـــــرا ... لجنة عدن بنت عنها وكوثـــــر
فقبلى نأى من جنة الخلـــــد آدم ... فما راقه من جانب الأرض منظر
لقد سرنى أنى أمر ببالـــــــــه ... فيخبرنى عنه بذلك مخبـــــــر
وقد ساءنى أنى أراه ببلـــــــدة ... بها منسك منه عظيم ومشعـــــر
وقد كان لى منه شفيع مشفـــــع ... به يمحص الله الذنوب ويغفـــــر
أتى الناس أفواجا إليك كأنمـــــا ... من الزاب بيت أو من الزاب محشر
فأنت لمن قد مزق الله شملـــــه ... ومعشره والأهل أهل معشـــــر

(وله أيضـــــــــــــــــاً)

ألاطرقتنا والنجوم ركـــــــود ... وفى الحى إيقاظ وهن هجـــــود
وقد أعجل الفجر الملمع خطوهـــا ... وفى آخريات الليل منه عمـــود
سرت عاطلاً غضبى على الدهروحده ... ولم يدر نحر ما دهاه وجيـــــد
فما برحت إلا ومن سلك أدمعى ... قلائد فى لباتها وعقـــــــود
وياحسنها فى يوم نضت سوالفـــا ... تريع إلى أترابها وتجيـــــد
ألم يأتها أنا كبرنا عـــن الصبى ... وأنا بلينا والزمـــان جديـــد
ولا كالليالى ما لهن موائـــق ... ولا كالغوانى مالهن عهـــود

(ومنهـــــــــــــا)

ولا كالمعز بن النبى خليفـــــة ... له الله بالفخر المبين شهيـــــد

(وله أيضـــــــــاً)

قد مررنا على مغانيـــك تلك ... فرأينا بها مشابه منـــــك
عارضتها المها الخوادل سربـــا ... عند اجزاعها فلم تسل عنـــك

لا يرع للمها بذلك ســـــرب أشبهتك فى الوصف إذ لم تكنك
كن عذيرى فقد رأيت معاجـــى يوم تبكى بالجزع وجدا وأبكـــى
بحنين مرجـــع ونشـــــيد وأنين مرجـــــــع كتشكى

(وله من قصيدة يمدح بها جعفر بن على بن رومان)

قفا فلا مرما سرينا ولا نســـرى وألا نرى مشى القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهـــــم ومن حيث تأتى الريح طيبة النشر
لعل نرى الوادى الذى كنت مرة أزورهم فيه تضوع للســـــفر
والا فما واد يسيل بعنبـــــــر والا فما تدرى الركاب ولا تدرى
أكل كناس بالصريم تظنـــــــه كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أنى أسائل عنهـــم وهم بين أحناء الجوانح والصـــدر
وهل علموا أنى أيمم أرضـــهم ومالى بها غير التعسف مـــن خبر
ولى سكن تأتى الحوادث دونـــه فيبعد عن عينى ويقرب من فكرى
إذا ذكرته النفس جاشت بذكره كما عثر الساقى بجام من الخمـــر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا فو العصر أنى بعد يحيى لفى خسر
وآليت لا أعطى الزمان مقادتى إلى مثل يحيى ثم أغضى على الوتر
حنتنى إليه ظاعنا ومخيمـــــــا وليس حنين الطير إلا إلى الوكـــر

(وله من قصيدة)

فتكات طرفك أم سيوف أبيـــك وكؤوس خمرك أم مراشف فيـــك
أجلاد مرهفة وفنك محاجـــــر لا أنت راحمة ولا أهلـــــــوك
يا بنت ذى السيف الطويل نجاده أكذا يجوز الحكم فى ناديـــــك
عيناك أم معناك موعدنـــا على وادى الكرى ألفاك أم واديـــك

(وقال أيضـــــــاً)

أحببت بذياك القباب قبايـــــا ... لا بالحداة ولا الركاب ركابـــا
فيها قلوب العاشقين تخالهـــــا ... عنما بأيدى البيض أو عنابـــــا
والله لولا أن يعنفنى الهـــــوى ... ويقول بعض العاذلين تصابـــى
لكسرت دملجها بضيق عناقهـــا ... ورشفت من فيها البرود رضابـــا
بنتم فلـــــــولا أن تغير لمتى ... عبثا وألقاكم علىّ غضابـــــا
لخططت شيبا فى مفـــارق لمتى ... ومحوت محو النفس عنه شبابـــا
وخضبت مبيض الحداد عليكم ... لو أننى أجد البياض خضابـــــا
وإذا أردت على المشيب وفـــادة ... فاحثث مطيك دونه الاحقابـــا
فلتأخذن من الزمان حمامـــــة ... ولتبعثن إلى الزمان غرابـــــا

(منهـــــــــــا)

قد طيب الاقطار طيب ثنائـــه ... من أجل ذا تجد الثغور عذابـــا
لم تدننى أرض إليك وأنمـــــا ... جئت السماء ففتحت أبوابـــا
ورأيت حولى وفد كل قبيـــلة ... حتى توهمت العراق الزابـــا
أرضا وطئت الدر من رضراضها ... والمسك تربا والرياض جنابـــا
ورأيت أجمل أرضها منقـــادة ... فحسبتها مدت إليك رقابـــا
سد الإمام بها الثغور وقبلهـــا ... هزم النبى بقومك إلا حزابـــا

الأديب
أبو عمر أحمد بن فرج الجياني *

محرز الخصل ، مبرز فى كل معنى وفضل ، متميز بالإحسان ، منتم إلى فئة البيان ، ذكى الخلد مع قوة العارضه ، والمنة الناهضة ، حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط ، مشتهراً لمن انبسط فيه بعض البسط ، حتى أن أهله لا يتكلمون فيه إلا رمزاً ، ولا يخاطبون إلاّ إيماءً فلا تسمع لهم ركزاً ، فكلم فيه خصماً له كلاماً استطال به عليه لفضل بيانه ، وطلاقة لسانه ففارق عادة المجلس فى رفض الأنفة ، وخفض الحجة المؤتنفة ، وهز عطفه وحسر ساعده وأشار بيده ما دانيا لوجه خصمه ، خارجاً عن حد المجلس ورسمه ، فهب الأعوان فى رأس القاضى بنفسه بتقويمه وتثقيفه فذعر بهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهلا عافاك الله أخفض صوتك وأقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حقك وأقصر عن انتمائك وأدلا لك فقال له مهلا يا قاضى أمن المخدرات أنا فأخفض صوتى وأستريدى وأغطى معاصمى لديك أم من الأنبياء أنت فلا نجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله إلا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقوله

---

* هو صاحب كتاب الحدائق ألفها للمستنصر المروانى ورفع له أن هجاه ، فسجنه ومات فى سجنه ، وذكر الحجازى أنه لم يكن فى المائة الرابعة أشد اعتناء منه بتأليف شعر أهل الأندلس .

انظر المزيد فى : جذوة المقتبس ٩٧ ، بغية الملتمس ١٤٧ ، معجم الأدباء ٢٣٦/٤، المطرب ٤ ، المغرب ٣/ ٥٦ .

تعـــالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [1]

ولســـت بـــه ولا كرامه . وقد ذكر الله أن النفوس تجادل فى القيامة. فى موقـــف الهول الـــذى لا يعد له مقام . ولا يشبه انتقام . فقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُـــلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [2] لقد تعديـــت طورك وعلوت فى منزلتك وأنما البيان . بعبارة اللسان . وبالنطق يستبين الحـــق من الباطل ولا بد فى الخصام . من افصاح الكلام . وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جواباً وكان فى الدولة صدراً فى أعيانها . وناسق درر تبيانها . نفق فى ســـوقها وصنف . وقرطه محاسنها وشنف . وله الكتاب الرائق . بالحدائق . وأدركه فى الدولة يسعى . رفضا له فيها المرعى . واعتقله الخليفة وأوثقه فى مكان أخيه فلم يومض له عفو . ولم يشب كد رحاله صفو . حتى قضى معتقلاً . ونعى للنائـــبات نعياً مشكلاً . وله فى السجن أشعار كثيره . وأقوال مبتدعات منيرة . فمـــن ذلك ما أنشده أبو محمد بن حزم يصف خيالاً طرقه . بعد ما أسهره الوجد وأرقه .

بأيهما أنا فى الشكر بـــــاد ... بشكر الطيف أم شكر الرقـــاد
سرى وازداد فى أملى ولكـــن ... عففت فلم أجد منه مـــرادى
وما فى النوم من حرج ولكـــن ... جريت من العفاف على اعتيادى

(وله أيضـــــــــاً)

---

[1] سورة الحجرات الآيـــــة ٢ : ٣ .

[2] سورة النحـــل الآيـــة ١١١ .

وطائعة [1] الوصال عدوت عنها ... وما الشيطان عنها بالمطـــاع
بدت فى الليل ساترة دياجـــى ... ظلام الليل سافرة القنـــاع
وما من لحظة إلا وفيهـــــا ... إلى فتن القلوب لها دواعـــى
فملكت النهى حجاب شـــوقى ... لا جرى بالعفاف على اعتيادى
وبت بها مبيت الطفل يظلمـــــا ... فيمعنه الفطام من الرضـــاع
كذاك الروض ليس به لمثـــلى ... سوى وطر وشم من بقـــاع
ولست من الســـوائم مهملات ... فأتخذ الرياض من المراعـــى

(وله أيضـــــاً)

للروض حسن فقف عليـــه ... واصرف عنان الهوى إليـــه
أمـــا ترى نرجســـاً نضيراً ... يرثو إليـــه بمقلتيـــه
نشر حبيبى على ربـــاه ... وصفرتى فوق وجنتيـــه

(وله أيضـــــاً)

بمهلكة يستهلك الحمد عفوهـــا ... ويترك شمل العزم وهـــو مبدد
نرى عاصف الأرواح فيها كأنهـــا ... من الأين يمشى ظالع أو مقيـــد

---

[1] وردت هذه الأبيات فى المغرب ٢ / ٥٦ .

الأديب

أبو عبد الله محمد بن الحداد *

شـاعر مادح ، وعلى أيـــدى الندى صادح ، لم ينطقه جود معن أو صـمادح ، فـلم يـرم مثواها ، ولم ينتجع سواهما – واقتصر على المرويه ، وأختصـر قطع المهامه وخوض البريه ، فعكف فيها ينثر درره فى ذلك المنتدى ، ويرتشـف أبـدا ثغور ذلك الندى ، مع تميزه بالعـلم ، وتخيره إلى فئة الوقار والحلم ، وانتمائه إلى آية سلف ، ومذاهبه مذاهب أهل الشرف ، وكان له لسن وراء يشـهد أن له بالنباهه ، ويقلدان كأهله ما شاء من الوجاهه ، وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره ، وفاه به من محاسن غرره ، فمن ذلك قوله :

إلى الموت رجعى بعد حين فأن أمت
فقد خلدت خلد الزمان منـاقى
وذكرى فى الآفاق طيبا كأنهـا
بكل لسان طيب عذراء كـاعب
ففى أى علم لم تبرز سـوابقـى
وفى أى فن لم تبرز كـتائبى

---

* هـو أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى ويسميه بعضهم مازن فى الطبقة الأولى من شـعراء القـرن الخامس الهجرى، وقد اختص بمعن بن صمادح وقال فيه أمداحاً كثيرة، توفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .

انظـر المـزيد فى : الذخيرة م ٢ ق ١ ٢٠١ – ٢٠٣ ، تكملة ابن الأبار ١٣٣ ، المغرب فى حلى المغرب ٢/ ١٤٣ ، الحلة السيراء ٢/ ٨٢ .

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فأنشد فيه قصيداً أبرز به من عرى الإحسان مالا يصم واستمر فيها . يستكمل بدائعها وقوافيها . وإذا هو قد أعار على قصيد ابن الحداد الذى أوله عج بالحمى حيث الخماض العيم فقال ابن الحداد مرتجلاً :

حاشا لعدلك يابن معن أن يرى ... فى سلك غيرى درى المكنون
وأليكها تشكو استلاب مطيها ... عج بالحمى حيث الخماض العين
فاحكم لها وأقطع لساناً لا يداً ... فلسان من سرق الفريض يمين

(وله أيضاً)

يا غائبا خطرات القلب محضره ... الصبر بعدك شيء لست أقدره
تركت قلبى وأشواقى تقطره ... ودمع عينى واحداً فى تحدره
لو كنت تبصر فى تدمير حالتنا ... إذا لا شفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تخلو بلذتها ... والدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف ... على المريرة والأنفاس تظهره

(وله أيضاً)

إن المدامع والزفير ... قد أعلنا ما فى الضمير
فعلام أخفى ظاهراً ... سقمى علىّ به ظهير
هب لى الرضا من ساخط ... قلبى بساحته الأسير

(وله أيضاً)

أيها الواصل هجرى ... أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى أى نفع ... لك فى إدمان ضرى

(وله أيضاً)

يا مشبه الملك الجعدى تسمية ... ومخجل القمر البدرى أنوارا

(وله أيضـــــــــــاً)

تطالبنى نفسى بما فيه صونهـــا ... فأعصى ويسطو شوقها فأطيعها
ووالله ما يخفى علىّ ضلالهـــا ... ولكنها تهوى فلا أستطيعهـــا

(وله أيضـــــــــــاً)

استودع الرحمن مستـــودعى ... شوقاً كمثل النار فى أضلعى
أترك من أهوى وأمضى كـــذا ... والله ما أمضى وقـــلبى معى
ولا نأى شخصك عن ناظرى ... حينا ولا نطقك عن مسمعى

(وله أيضـــــــــــاً)

لعلك [1] بالوادى المقدس شاطىء ... فكالعنبر الهندى ما أنـــا واطىء
وأنى فى رياك واجد ريحهـــــم ... فروح الهوى بين الجوانح ناشىء
ولى فى السرى من نارهم ومنارهم ... حداة هداة والنجوم طـــوالىء
كذلك ما حنت بركابى وهمحمت ... حداتى وأوحى ذكرها المتباطىء
ويا حبذا من آل لبنى مواطـــن ... ويا حبذا من آل لبنى مـــواطىء
ولا تحسبوا سعدى حوتها مقاصر ... فتلك قلوب ضمنتها أجـــاجىء
وفى الكلل اللاتى لعزة طيبـــة ... يحف بها زرق العوالى الكوالىء
أفاتكة الالحاظ ناسكة الهـــوى ... ورعت ولكن لحظ عينيك خاطىء
وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم ... دموع هوام والجروح مآقـــىء
وكيف أعانى كلم طرفك فى الحشا ... وليس لتمزيق المهند راقـــىء

---

[1] وردت الأبيات فى المغرب ٢ / ١٤٤ .

ومن أين أرجو برء نفسى من الهوى وما كل ذى سقم من السقم بارىء

(وله أيضـــــــاً)

بخافقة القرطين قلبك خافـــق وعن خرس القلبين دمعك ناطق

وفى مشرق الصدغين للصبر مغرب
وللفكر حالات وللعين شـــارق
وبين حصى الياقوت ماء وســامة
محلأة عنه الظباء الســـــوابق
وحشو قباب الرقم أحوى مقرطق
كاس روض عطفه والقراطـــق
غزال ربيب فى المقاصر كانـــس
وخوط لبيب بالغدائر بـــــارق

الأديب
الأسعد بن بليطه *

سـرد البدائع أحسن السرد ، وأفترس المعالى كالأسد الورد ، وأبرز درر المحاسن من صدفها ، وحاز من بحر الاجادة وشرفها ، ومدح ملوكها طوقهم من مدائحـه قلائد ، وزف إليهم منها خرائد ، وجلاها عليهم كواعب ، بالألباب لواعـب ، فأسـالت العوارف ، وما تقلص له من الحظوة له ظل وارف ، وقد أثبت له ما يعترف بحقه ، وتعرف به مقدار لسبقه ، فمن ذلك قوله :

برامة رئم زارنى بعد ما شـطا ... تقنصته بالحلم فى الشط فاشـتطا
رعى من أفانين الهوى ثمر الحشـا ... جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمرقوم غرير برامـة ... تؤدبنى بالرقمتين لذى الارطـى
فاكسبنى من خدها روضـة الجنى ... وألدغنى من صدغها حية رقطـا
وباتت ذراعاها نجادا لعـاتقى ... إذا ما التقاها الحى غنى بها لغطـا
وسل اهتصارى غصنها من مخصر ... طواه الضنى طى الطوامير فامتطا

---

* هو الأسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبى الشاعر الناثر المتوفى ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م وقد كان فارساً باسلاً فى نفس الوقت . وقال ابن بسام : فارس جحفل وشاعر محفل ، فجرى فى الميدانين وارتزق فى الديوانين ، وقال دوزى إن بليطة هى الكلمة الإسبانية **Billete** ومعناها البطاقة .

انظـر المزيـد فى : الذخيرة م ٢ ق ١ ٢٩٠ ، جذوة المقتبس ٢٢٨ – ٢٢٩ ، الرايات ١٩٧ .

وقد غاب كحل الليل فى دمع فجره إلى أن تبدى الصبح فى اللمة الشمطا

(ومنها فى وصف الديك)

وقام لها ينعى الدجى ذو شقيقة يدير لنا من سن أجفانه سقطا

إذا صاح أصغى سمعه لأذانه وبادر ضربا من قوادمه إلا بطا

كأن أنو شروان أعلاه تاجه وناطت عليه كف مارية القرطا

سبى حلة الطاووس حسن لباسها ولم يكفه حتى سبا المشية البطا

(و من غزلها)

غلامية جاءت وقد جعل الدجى لخاتم فيها فص غالية خطا

فقلت أحاجيها بما فى جفونها وما فى الشقاء اللعس من حسنها المعطى

محيرة العينين من غير سكرة متى شربت ألحظ عينيك اسفنطا

أرى بنكهة المسواك فى حمرة اللمى وشاربك المخضر بالمسك قد خطا

عسى قزح قبلته فأخاله على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

(وله أيضاً)

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا والمزن يبكينا بعينى مذنب

والشمس قد مدت أديم شعاعها فى الأرض تجنح غير أن لم تغرب

(وله أيضاً)

وتلذ تعذيبى كأنك خلتنى عودا فليس يطيب مالم يحرق

(وهو مأخوذ من قول ابن زيدون)

تظنونى كالعود حقاً وأنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

الأديب

أبو بكر عبادة بن مـــا *

مـــن فحول الشعراء ، وأئمتهم الكبراء ، كان منتجعاً بشعره ، مسترجعاً مـــن صرف دهره ، وكانت له همة أطالت همه ، وأكثرت كده وغمه ، وله من قصيدة فى يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين .

يؤرقنى الليل الذى أنت نائمـــــه ... فتجهل ما ألقى وطرفك عالمـــه

وفى الهودج المرقوم وجه طوى الفشا ... عن الحسن فيه الحسنى قد حار راقمه

إذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعـــه ... قضى لهم عن منهج القصد فأحمه

أظلما رأوا تقليده الـــدر أم زروا ... بتلك اللآلى انهن تمائـــــــــه

---

* هـــو عبادة بن ماء السماء ، له كتاب فى شعراء الأندلس . وقال ابن بشكوال فى الصلة صـــــ ٣٥٧ : كانت الرحلة فى وقته إليه ، ومدار أصحاب اللغات والآداب عليه ، عنده يسقط حفظ الحفاظ ودونه يكون علم العلماء.

انظر المزيد فى : نفح الطيب ٢/ ١١٨ ، بغية الوعاة ٣١٢ ، الوافى بالوفيات ٢/ ٣٥١، الديباج المذهب ١٥٧ .

الأديب

أبو عبد الله محمد بن عائشة *

أشـــتهر صـــوناً وعفافـــاً . ولمّ بعقيلة خطوه زفافاً . فآثر انقباضاً وسكوناً وأعتمد إليها ركوناً . إلى أن أنهضه أمير المسلمين إلى بساطه فهب من مرقد خموله، وشـــب لبـــلوغ مأموله . فبدا منه فى الحال انزواء عن الحضرة والتلواء عن تسنم تـــلك الرسوم وقعود عن مراتب الأعلام . وجمود لا يحمد فيه ولا يلام . إلا أن أمـــير المؤمنين أيده الله تعالى ألقى عليه منه محبه . بنت له مسرى الظهور وصعبه . وكان له أدب واسع المدى . يانع كالزهر بلله الندى . ونظم مشرق الصفحة . عبق النفحة . إلا أنه قليل ما كان يحل ربعه . ويذبل له طبعه . وقد أثبت له منه ما يدع الألباب حائرة . والقلوب إليه طائره . فمن ذلك قوله فى ليلة سمحت له بفتى كان يهواه . ونفحت له هبة وصل أبدت جواه .

لله ليل بات عندى بـــــــــه ... طوع يدى من مهجتى فى يديـــه
وبت أسقيه كؤوس الطـــــلا ... ولم أزل أسهر شوقا إليـــــه
عاطيته حمراء ممزوجـــــــة ... كأنها تعصر من وجنتيـــــــه

(وله فيه وقد طرزت غلالة خده وركب على عارضيه سنان على صعدة قده)

إذا كنت تهوى خده وهو روضـــة ... به الورد غض والأقاح مفلـــج
فزد كلفا فيه وفرط صبابـــــة ... فقد زيد فيه من عذار بنفســـج

---

* هـــو صاحب أعمال بلنسية ، له أدب واسع المدى، يانع كالزهر بلله الندى ، هو كاتب على بن يوسف بن تاشفين .

انظر المزيد فى : الذخيرة ق ٣ صـــ ١٤٠ ، مسالك الأبصار م ١١ صـــ ٤٥٤ .

وخـــرج من بلنسية يوماً إلى منية الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز وهى مـــن أبـــدع منازل الدنيا وقد مدت عليها أرواحها الأفياء، وأهدت إليها أزهارها العـــرف والـــرياء ، والنهر قد غص بمائة ، والروض قد خص بمثل أنجم سمائه ، وكـــانت لبنى عبد العزيز فيها أطراب، تهيأ لهم فيها من الأيام آراب فلبسوا فيها الأنـــس حـــتى أبلوه ، ونشـــــروا فيها الأنس وطووه ، أيام كانوا بذلك الأفق طلوعاً ، لم تضم عليه الترائب ضلوعاً ، فقعد أبو عبد الله مع لمة من الأدباء تحت دوحة من أدواحها، فهبت ريح أنس من أرواحها، سطت بأعصارها ، وأسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها، فقال :

ودَوْحَة [1] قـــــــد علت سماء تطلع أزهارهـــا نجومـــــــا

هفا نسيم الصبا عليهـــــــا فأرسلت فوقنا رجومـــــــا

كأنما الجو غار لمـــــــــا بدت فأغـــــرى به النسيما

وكـــــان فى زمـــن عطلته ، ووقت اصفراره وعلته ، ومقاساته من العيش أنكـــده ، ومـــن الـــتحرف أجهده ، كثيراً ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ، ويستطيب تلك الريح ، ويجول فى أجارع واديها ، وينتقل من نواديها إلى بواديها ، فأنها صحيحة الهواء ، قليلة الأواء ، خضلة العشب زاهية الأزاهر ، قد أحاط بهـــا نهـــرها كما تحيط بالمعاصم الاساور ، والأيك نشرت فوقها على صفيحة ، والروض قد عطر جوانبها بريحه ، وأبو إسحاق بن خفاجة هو كان مترع نفسه ، ومصـــرع أنســـه ، بـــه نفح له بالمنى عبق وشذا ، به مسح عن عيون مسراته القـــذى ، وغداً على ما كان وراح ، وجرى فتهافتا فى ميدان ذلك المراح ،

---

[1] وردت الأبيات فى المغرب فى حلى المغرب ٢ / ٣١٤ :

قـــريب عهد بالفطام • وزهره ينقاد فى خطام • فلما اشتعل رأسه شيباً • وزوت عـــليه الكهولـــة جيبا • أقصر عن تلك الهنـــات • واستيقظ من تلك السنات • وشـــب عن ذلك الطوق • وأقتصر على الهوى والشوق • وقنع بأى تحيه • وما يستشعره يوصف تلك العهاد من أريحيه فقال :

ألا خلياتى والأسى والقوافيـــــا ... أرددها شجوى وأجهش باكيـــاً
أؤمن شخصاً للمسرة باديـــــــا ... وأندب رسما للشيبة باليـــــــاً
تولى الصبا إلا توالى فكـــــــرة ... قد حت بها زندا وما زلت وارياً
وقد بان حلو العيش إلا تعـــــلة ... تحدثنى عنها الأمانى خواليـــاً
ويابرد هذا الماء هل منك قطرة ؟ ... تهل فيستسقى غمامك صاديـــاً
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها ... ليال وأيام تخـــال لياليـــــاً
فقل فى كبير عادة صائد الظبـــــا ... إليهن مهتاجاً وقد كان ساليـــاً
فياراكبا يستعمل الخطو قاصـــداً ... إلا عج بشقر رائحاً أو مغاديـــاً
وقف حيث سال النهر ينساب أرقما ... وهب نسيم الابك ينفث راقياً
وقل لأثيلات هناك وأجـــــدع ... سقيت أثيلات وحييت واديـــاً

الأديب
أبو عامر بن عقال *

كان له ببنى قاسم تعلق . وفى سماء دولتهم تألق . فلما خوت نجومهم . وعفت رسومهم . انحط عن ذلك الخصوص وسقط سقوط الطائر المقصوص وتصرف بين وجود وعدم . وتحرف قاعداً حيناً على قدم . وفى خلال حاله . وأثناء انتحاله . لم يدع حظاً من الحبيب ولا ثنى لحظه عن الغزال الربيب . ولم يزل يطير ويقع . والدهر يخفض جهالة ويرفع . إلى أن رقاه الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين إلى اسمى ذروه . ورداه أبهى حظوه . فادرك عنده أعلام التحبير والإنشاء وترك الدهر . قلق الحشا . وتسنم منزلة لا يتسنمها إلا من تطهر من دونه . وجمع إحسانه فى ميدان حزنه . والحظوظ أقسام . والدنيا إنارة وأعتام . وصفاء يتلوه قتام . وقد أثبت له بعض ما انتقيت . والذى أخذته مباين لما نفيت . فمن ذلك قوله :

ياونج أجسام الأنـــا	م لما تطيق من الأذى
خلقت لتقوى بالغـــذا	ء وسقمها ذاك الغذا
وتنال أيام الســـلا	مـة بالحياة تـلذذا
فإذا انقضى زمن الصبى	ورمى المشيب فأنفذا
وجد السقام إلى الفـــا	صل والحوائج منفذا

* ورد ذكره عد ابن بسام فى الذخيرة .

(حذا فى هذه القصيدة حذو من قال :)

وجع المفاصل وهـــــو أيسر مالقيت من العنا

رد الذى استحسنتـــه والناس من حظى ضنى

(وله يعتذر من تأخير زيارة اعتمدها • ومواصلة اعتمدها • فعاقته عنها)

(حوادث لوته عنها • وحرمته منها • وهو قوله)

بينما كنت راجياً للقائه والتشفى بالبشر من تلقائه

وترقيت فى سماء تراعى قمر الأنس طالعا من سمائه

فتدلهت وانزويت حياء منه والعذر واضح بسنائه

وله فصل كتب به عن الأمير إبراهيم يصف أجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه أيده الله تعالى مـــن مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذل بعد استصعابه • وسهل بعد أن رأى الشـــامخ من هضابه • وصار حيه ميتا • وهدره صمتا • وجباله لا ترى فيها جوجـــاً ولا أمتاً • وضعف تعاطيه • وعقد السلم بين موجه وشاطيه • فعبر آمناً مـــن ســـطواته • متملكاً لصهواته • على جواد يقطع الجروف لحاً • ويكاد يسبق الريح لحاً • لم يحمل لجاماً ولا سرجاً • ولا عهد غير اللجة الخضراء مرجاً • عنانه فى رجله • وهدب العين يحكى بعض شكله • فلله دره من جـــواد • لـــه جسم وليس له فؤاد • يخرق الهواء ولا يرهبه • ويركد الماء ولا يشربه •

الأديب
أبو عمر أحمد بن فرج الحياتى *

أحد انساء الحضرة المنصرفين فى أشبه الأعمال . المتعرفين ما يأنيه العمال . لم يقــرع ربــوة ظهور . ولم يقرع باب مشهور . ونكب عن القطع الجزل . إلى الغرض الفسل . وليس من شرط كتابى هذا اثبات بذاءة . ولا أن أقف حذاءه . وقد أثبت له ما هو عندى نافق . ولغرضى موافق . فمن ذلك قوله :

ياروضة باتت الانداء تخدمهـــا	أنى النسيم وهذا أول الســـحر
أن كان قدك غصنا فالنداء بـــه	مثل الكمائم قد زرت على الزهر
أغنى ببرديك عن بدرو عن زهــر	أغنى بقرطيك عن شمس وعن قمر
ياقاتل الله لحظى كم شقيت بـــه	من حيث كان نعيم الناس فى النظر

(وله يصف زرزورا)

أمنبر ذاك أم قضـــيب	يقرعه مصقع خطيب
يخال فى بردتى شباب	لم يتوضح بها مشيب
كأنما زررت عليـــه	ابراده مسكة وطيب
أخرس لكنه فصيـــح	أبله لكنـــه لبيب
جهم على أنه وسيـــم	صعب على أنه أريب

* ورد ذكره وترجمة فى الذخيرة ق ٤ ج ١ ١٠٠ .

(وله من رثاء فى والدتى رحمة الله عليها)

ياناصح غير مقتات وبى شجـــن ... على النصائح والنصاح مقتات

لا أستجيب ولو ناديت من كتب ... قد وقرتنى تعلات وعـــــلات

أن كان رأيك فى برى وتكرمتى ... بحيث قد ظهرت فيه علامـــات

لا ترض لى غير شجو لا أفارقه ... فذاك اختاره والناس أشـــتات

ياذا الوزارة من مثنى وواحـــدة ... لله ما اصطنعت منك الوزارات

لله منك أبا نصر أخو جلـــــد ... إذا ألمت ملمات مهمـــــــات

(ومنهـــــــــا)

أستودع الله نورا ضمه كفـــــن ... كما توارى بدور ثم هـــــالات

قضت وليت شبابى كان موضعها ... هيهات لو قضيت تلك اللبانات

مضت وليس لكم من دونها أحد ... هلا وقد أغزرت فيها المروآت

الأديب
أبو الحسن البرقي *

بلنسى الدار ، نفيس المقدار ، لم أعلم له شرف ، ولم أسمع له عن سلف ، ورد إشبيلية سنة خمس وسبعين وأربعمائة فأتصل بابن عمر فناهيك من خطه مسك أذفر ، ومن وجهه صبح أسفر ، أدرك به الرغائب ، وتملك بسببه الحاضر والغائب ، وكان عذب المؤانسه ، خلو المجالسه ، وقد أثبت له بعض ما وجدته فى الغلمان ، وأنشدته فى ذلك الزمان :

ان ذكرت العقيق هاجك شوق ... رب سوق يهيجه الادكار
ياخليلى حدثانى الركب سحراً أأنجدوا أم أغاروا
شغلونا عن الوداع وولوا ... ما عليهم لو ودعوا ثم ساروا
أبا أهواهم على كل حال ... عدلوا فى هواهم أم جاروا

وعلق باشبيلية فتى يعرف بابن المكرر ، صار به طريحاً بين أيدى الفكر ، وما زال يقاسى هواه ، ويكابد جواه ، حتى أكتسى خده العذار ، ومحا عنه مثل بهجة آذار فقال :

الآن لما ضرجت وجناته ... شوكا أصحت سلوة العشاق
واستوحشت تلك المحاسن واكتست ... أنوار وجهك واهن الأخلاق
أمسيت تبذل لى الوصال تصنعا ... خلق اللئيم وشيمة المذاق

---

* له ذكر فى الذخيرة لابن بسام .

هلا وصلت إذ الشمائل قهـــوة وإذا الحيا روضة الاحـــداق
فلكم أطلت غرام قلب موجـــع كم قد ألب إليك بالأشـــواق
ما كنت إلا البدر ليلة تمـــــه حتى قضت لك ليلة بمحـاق
لا ح العذار فقلت وجد نـــازح أن ابن دانة مؤذن بفـــراق

(وله فيه مناقضاً لهذا الغرض ، معارضاً بلوعة سلوه الذى عرض)

أجيل الطرف فى خـــد نضير بورد ناضر نظرى إليـــه
إذا رمدت بحمرته جفونـــى شفاها منه أخضر عارضيـــه

الأديب

أبو الحسن علي بن جودي *

برز في الفهم ، وأحرز منه أوفر سهم ، وله أدب واسع مداه ، يانع كالروض بلله نداه ، إلا أنه سها فاسرف ، وزها بما لا يعرف ، تصدى إلى اتباع الهوى ، ولم يراقب الله في تلك الأهوا ، واشتهرت عنه أقوال سدد إلى الملة نصالها ، وأبد بها ظلالها ، فعظمت به المحنة ، وتكيفت له في كل نفس احنه ، وما تدرج فيها وتنقل ، حتى عثر ولم يستقل ، فمر لايلوى على تلك النواحي ، وفر لا ينثني إلى اللوائم والنواحي ، ومازال يركب الأهواء ويخوضها ، ويذلل النفوس بها ويروضها ، حتى اسمحت بعض الاسماح ، وكفت عن ذلك الجماح ، فاستقر عند ابن مالك فأواه ، ومهد له مثواه ، وجعله في جملة من اختص من المبطلين ، واستخلص من المعطلين ، فكثيرا ما يصطفيهم ، ولا أدري أيدخرهم أم يغنيهم ، وقد أثبت لأبي الحسن هذا :

سل الركب من نجد فان تحيـــة ... لساكن نجد قد تحملها الركب
رالا فما بال المطى على الوحـــى ... خفافا وما للريح حر جفها رطب

(وله أيضـــاً)

أحن إلى ريح الشمال فانمـــا ... تذكرنا نجدا وما ذكرت نجـدا
نمر على ربع أقام به الهـــوى ... وبدل من أهلية جاثمة ربـــدا

---

* له ذكر عند ابن بسام في الذخيرة .

(وله أيضـــــــاً)

إذا ارتحلت غربية فأعرضا لهـــا ... فبالغرب من نهوى له ليلة الغربا

لقد سانى أنى بعيد وأننـــــــا ... بأرضين شتى لا مزار ولا قربـــا

يفجعنا أما بعاد مـــــــبرح ... وأما أمور باعثات لنا كربـــا

(وله أيضـــــــاً)

لقد هيج النيران يا أم مـــــالك ... بتدمير ذكرى ساعدتها المدامـــع

عشية لا أرجو لقاءك عندمـــــا ... ولا أنا إذ تدنو مع الليل طامـــع

(وله أيضـــــــاً)

حننت إلى البرق اليمـــانى وأنما ... نعالج شوقاً ما هنالك هانيـــا

فياراكبا يطوى البـــلاد تحملن ... تحيتنا أن كنت تلجأ لا قيـــا

لياليا بالجزع جزع محجـــــر ... سقى الله يا فيحاء تلك الليالیا

وما ضر صحبى وقفة بمحجـــر ... أحيى بها تلك الرسوم البواليـــا

(وله أيضـــــــاً)

خليلى عن نجد فان ينجدهـــــم ... مصيفا لبيت العامرى ومربعـــا

ألا رجعا عنها الحديث فـــــأننى ... لا غبط من ليلى الحديث المرجعا

عزيز علينا يابنة القوم أننـــــا ... غريبان شتى لا نطيق التجمعـــا

فريق هوى منا يمان ومشـــــأم ... يحاول يأساً أو يحاول مطعمـــا

كأنا خلقنا للنوى وكأنمـــــا ... حرام على الأيام أن تتجمعـــا

الأديب
أبو جعفر بن البني *

رافـــع رأيـــة القريض ، وصاحب آية التصريح والتعريض ، أقام شرائعه ، وأظهـــر بدائعه ، إذا نظم أزرى بالعقود ، وأتى بأحسن من رقم البرود ، وكان أليف غلمان ، وحليف كفر لا إيمان ، ما نطق متشرعاً ، ولا رمق متورعاً ، ولا أعـــتقد حشراً ، ولا صدق بعثاً ولا نشراً ، تنسك مجوناً وفتكاً ، وتمسك باسم الـــتقى وقد هتكه هتكاً ، لا يبالى كيف ذهب ، ولا بما تمذهب ، وكانت لـــــه أهاجى جرع بها صابا ، ودرع منها أو صابا ، وقد اثبت لـــــه مايرتشفه ريقاً ، ويشرفه تحقيقاً ، فمن ذلك قوله يتعزل :

من لى بغرة فاتن يختـــــال فى ... حلل الجمال إذا بدا وحليـــــه
لو شمت فى وضح النهار شعاعـــة ... ما عاد جنح الليل بعد مضيـــه
شرقت لآلى الحسن حتى خلصت ... ذهبية فى الخد من فضيـــــة
فى صفحتيه من الجمال أزاهـــــر ... غذيت بوسمى الحيا ووليـــــه
سلت محاسنه لقتل محبـــــــه ... من سحر عينيه حسام صميـــه

(وله فيـــــه)

كيـــف لا يزداد قلبى ... من جوى الشوق خبالا
وإذا قلـــــت علىّ ... بهر الناس جمـــــالا
هو كالغصن وكالبد ... ر قواما واعتـــــدالا

---

* له ترجمة مختصرة فى الذخيرة لابن بســـــــــــام .

أشرق البدر كـــمالا وانثنى الغصن اختيالا
أن من رام ســـلوى عنه قد رام محـــالا
لست أسلو عن هـواه كان رشدا أو ضـلالا
قل لمن قصر فيـــه عـذل نفسي وأطـالا
دون أن تدرك هـــذا تسلب الافق الهـلالا

وكـتب بميورقـه وقد حلها متسماً بالعبادة . وهو أسرى إلى الفجور من خيـال أبي عباده . وقد لبس اسماً ولبس منه أقوالاً وأعمالاً . سجوده هجوده . واقـراره بالله جحوده . وكانت له رابطاً لم يكن للوازمها مرتبطاً . ولا بسكناها مغتـبطاً . سماهـا بـالعيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا ينصرف إلا فى صفاته . ولا يقف إلا بعرفاته . ولا يؤرقه إلا جواه . ولا يشوقه إلا هواه . فإذا بـأحد دعاة محبوبه . ورواة تشبيه . قال له كنت البارحة بحماه . وذكر له خبراً وروى به عنه وعماه . فقال :

تنفس بالحمى مطلـول أرض فاودع نشره نشراً شمالا
فصبحت العيون إلىّ كسـلى تجرد فيه أهدابا نصـالا
أقول وقد شممت الترب مسكا بنفحتها يمينـا أو شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبـا ويشكو من محبتك اعتلالا

ولمـا تقرر عند ناصر الدولة من أمره . ما تقرر . وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر . أخرجه من بلده ونفاه . وطمس رسم فسوقه وعفاه . فأقلع إلى المشرق وهـو جار . فلما صار من ميورقه عبى ثلاث جوار . ونشأت له ريح صرفته عن وجهـته . إلى فقد مهجته . فلما لحق بميورقه أراد ناصر الدولة استباحته . وأثر لـلدين منه راحته . ثم آثر صفحة . وأخمد ذلك الحنو ولحفه . وأقام أياماً ينتظر

ربحاً علها ترجيه . ويستهديها لتستخلصه وتنجيه . وفى أثناء بلوته . لم يتجاسر على إثباته أحد من أخوته . فقال يخاطبهم

أحبتنا الألى عتبوا علينـــــا فأقصرنا وقد أزف الــوداع
لقد كنتم لنا جدلاً وأنســـا فهل فى العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يـــوم أشوق بالسفينة أم نـــزاع
إذا طارت بنا حامت عليكـــم كأن قلوبنا فيها شـــــراع

(وله يتغـــــــزل)

بنى العرب الصميم إلا رعيتم مآثركم بآثار البيـــــماح
رفعتم ناركم فعشا إليهـــا يوهن فارس الحىّ الوقـــاح
فهل فى القعب فضل تنضحوه به من محض ألبان اللقـــاح
لعل الرسل شائبة الثنايـــا بشهد من ندى نور الاقـــاح

(وله أيضـــــاً)

وكأنما رشأ الحمى لما بـــــدا لك فى مضلعة الحديد المعلم
غصب الغمام قسيه فاراكهـــا من حسن معطفه قويم الاسهم

(وله أيضـــــاً)

نظرت إليه فأتقانى بمقـــــلة ترد إلى نحرى صدور رمـــاح
حميت الجفون النوم يارشأ الحمى وأظلمت أيامى وأنت صباحى

(وله أيضـــــاً)

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه إذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسه من قوس حاجبه وأيد السهم من ألحاظه الحور
يروح فى برده كالنفس حالكة كيما أضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق فى خضراء مورقـــة كما تفتح فى أوراقه الزهـــر

الأديب
أبو الحسن بن لسان *

شـــاعر سمح ، متقلد بالإحسان متشح ، أم الملوك والرؤساء ، وبميم تلك العـــزة القعساء ، فأنتجع مواقع خيرهم ، وأقتطع ما شاء من برهم وتمادت أيامه إلى هـــذا الأوان ، فحال به فى ميدان الهوان ، فكسد نفاقه ، وارتدت آفاقه ، وتوالى عليه حرمانه واخفافه ، وأدركته وقد خبته سنونه ، وانتظرته منونه ومحاسنة كعدها فى الانقاد ، وبعدها من الانتقاد ، وقد أثبت منها ما يعذب جنى وقطافا ، وســـتعذب اســـتزالاً واستلطافاً ، فمن قوله يستنجد الأمير الأجل أبا إســـحق أمير المسلمين :

قل للأمير ابن الأمير بـــل الذى ... أبدا به فى المكرمات وفى الندى
والمجتنى بالرزق وهى بنفســـج ... ورد الجراح مضعفاً ومنضـــدا
جاءتك آمال العفاة ظوامئـــا ... فأجعل لها من ماء جودك موردا
وانثر على المداح سيبك أنهـــم ... نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجـــدا
فالناس أن فزعوا فأنت هو الحمى ... والناس أن ضلوا فأنت هو الهدى

أخـــبرنى وزير السلطان أن هذه القطعة لما ارتفعت ، اعتنت بجملة الشعراء وشـــفعت ، فـــأنجـــز لهـــم الموعود ، وأورق لهم ذلك العود ، وكثر اللغط فى تعظيمها ، واستجاده نظيمها وحصل له بها ذكر ، وانصقل له بسببها فكر ، وله من قطعة يصف سيفاً .

---

* ورد ذكره فى الذخيرة لابن بســـــام .

كل عضب توقدت شفرتـــــاه كانقاد الشهباء فى الظلمـــاء
فهو ماء مركب فوق نـــــار أو كنار قد ركبت فوق مـــاء

(وكتب إلىّ معزياً عن والدتى وإلى الله تعالى عليها الرحمة)

على مثله من مصاب وجـــب على من أصيب به المنتحـــب
وقلب فروق وخلب خفـــوق ونفس تشب وهـــم يصب
فقد خشعت للتقى هضبـــة ذوائبها فى صميم العـــرب
من الجاعلات محاربيهـــا هوادجها أبـــدا والقتب
من القائمات تظل الدجـــى ولا من تسامر إلا الشـــهب
فكم ركعة أثرها فى الدجـــى يناجى بها ربها مـــن كتب
وكم سكبت فى أوان السجـود مدامع كالغيث لمـــا انسكب
وقد خلفت ولداً باســـلا فصيحاً إذا ما قـــرأ أو خطب
تغل السيوف بأقلامـــه ويكسر صم القنـــا بالقصب

وكـــان القائد أبو عمرو وعثمان بن يحيى بن إبراهيم أعزه الله أجل من جال فى خـــلد • واستطال فى جلد • رشأ يحيى الصب باحتشامه • ويستر البدر بلثامه • ويـــزرى بالغصن تثنيه • ويثمر الحسن لو دنت قطوفه لجتنيه • مع لو ذعية تخالها جـــريالا • وسجية يختال فيها الفضل اختيالا • وكان قد بعد عن اسنا بحمص • وانتضـــى من تلك القمص • وكان بثغر الاشبونة أدام الله تعالى حراستها فسده • ولم يـــنفرج لـــنا من الأنس بعده • ما يسد مسده • إلى أن صدر • فأسرع غلينا وابـــتـــدر • فالتقيـــنا وبتناها ليلة نام عنها الدهر وغفل • وقام لنا بما شئنا فيها وتكفـــل • فبينا نحن نفض ختامها • وتنفض عنا غبـــار الوحشة وقتامها • إذا أنا بـــابن لبنان هذا وقد دخل أذنه علينا فأمرناه بالنزول والتقيناه بترحيب • وأنزلناه بمكـــان مـــن المسرة رحيب • وسقيناه صغاراً وكباراً • وأريناه أعظاماً وإعتباراً •

فـلما شرب طرب وكلما كرعها • التحف السلوة وتدرعها • وما زال يشرب أقداحاً • وينشد فينا أمداحاً • ويفدى بنفسه • ويستهدى الاستزادة من أنسه • فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع • واجتلينا محاسنه كالصديع • وانفصلت ليلته عـن أثم مسره • وأعم مبره • وأرتحل عثمان أعزه الله تعالى إلى ثغره • وأقام به بـرهة من دهره • فمثبيت إليه مجددا عهداً • ومتضلعاً من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبنان هذه القطعة من القصيدة تذهب إلى شكره • وتجتهد فى تجديد ذكره •

ماشام إنسان إنسـانـاً كعثمان ... ولا كبغيته من حسن إحسـان
بدر السيادة يبدو فى مطالعـه ... من المحاسن محفوفاً بشهبـان
له التمام وما بالافق من قمـر ... متمم دون أن يزرى بنقصـان
به الشبية تزهى من نضارتهـا ... كما تساقط ظل فوق بسـتان
معصفر الحسن للأبصار ناصعـه ... كأنه فضة شيبت بعقبـان
نبئت عنه بانبـاء إذا نفحت ... تعطلت نفحات المسك والبـان
قامت عليه براهين تصدقهـا ... كالشكل قام عليه كل برهـان
قد زادها ابن عبيد الله من وضـح ... مازادت الشمس نور الفجر للرائى
بالله بلغـة تسليمى إذا بـلغت ... تلك الركاب وعجل عير لبنان
وليت أنى لو شاهدت أنسـكها ... على كؤوس وطاسات وكيزان
فالفظ الكلم المنثور بينكمـا ... كأنما هو من در مرجـان
لله درك يا ذا الخطبتين لقـد ... خططت بالمدح فيه كل ديـوان
كلاكما البحر فى جود وفى كـرم ... أو الغمامة فيها رىّ ظمـآن
إن كان فارس هيجـاء ومعترك ... فأنت فارس أفصـاح وتبيـان
فأذكر أبا نصر المعمود منزلـة ... بالرفد ما شئت من مثنى ووحدان
قصائدا لأخى ودوان لزحـت ... بك الركاب إلى أقصى خراسان

الأديب

أبو بكر عبد المعطي بن محمد بن المعين *

بيت شعر ونباهه . وأبو بكر ممن تنبه خاطره للبدائع أى انتباهه . وله أدب باهـر . كما سفرت أزاهر . وقد أثبت له إجمالاً فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا فى ليلة لم يعزب لها رعد .. ولم يغرب عنها سعد .. وهو قد شب عن طوق الأنس فى السندى .. وما قال خلاً عمرو ولا عداً .. والكهولة قد قبضته وأقعدته .. عن ذلك وما أنهضته :

أمام النثر والمنظوم فتـــــح ... جميع الناس ليل وهو صبـــح
له قلم جليل لا يجـــــارى ... يقر بفضله سيف ورمـــح
يبارى المزن ما سحت سماحـــا ... وإن شحت فليس لديه شـــح

وكـان مرتسماً فى عسكر قرطبة وكان ابن سراج يتأتى له فى كل ما يبتغى خيفـة مـن لسانه . ومحافظة على إحسانه . فلما خرج إلى أقليش خرج معه . وجعـل يسـاير مـن شيعه . فلما حصلوا بفحص سرادق . وهو موضع توديع المغـارق لـلمفارق . قرب منه أبو الحسن بن سراج لوداعه . وأنشده فى تفريق الشمل وانصداعه:

هم رحلوا عنا لأمر لهم عنـــا ... فما أحد منهم على أحد حنـا
ومارحلوا حتى استفادوا نفوسنـا ... كأنهم كانوا أحق بها منـــا
فيا سا كنى نجد لتبعد داركـــم ... ظننا بكم ظنا فأخلفتم الظنـــا

---

* ورد ذكره فى الذخيرة لابن بســـــام .

غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخـــن وقلتم ولم أعتب وجرتم وماجرنا
وأقسمتم ألاّ تخونوا أخا هـــوى فقد وذمام الحب خنتم وما خنا
ترى تجمع الأيام بيني وبينكـــم ويجمعنا دهر نعود كما كنـــا

فلما استتم إنشاده لحق بالسلطان وأعتذر إليه بمريض خلفه، وهو يخاف تلفه فأذن له بالانصراف :

(وكتب إلى أبي الحسين بن سراج) [1]

أما والهدايا مارحلنا ولا حلنـــا ولو عن من دون الترحل ما عنـــا
تركنا ثواب الفضل والعز للعرى على مضض منا وعدنا كما كنـــا
وليس لنا عنكم على البين سلوة وإن كنتم أنتم لكم سلوة عنـــا

وجمعتنا عشية بربض الرحال بقرطبة ومعنا لمة من الأخوان وهو في جملتهم، مناهض لا عيانهم وجلتهم، بفضل أدبه، وكثرة نشبه، فجعل يرتحل ويروى، وينشر محاسن الآداب ويطوى، ويمتعنا بتلك الأخبار، ويقطعنا منها جانب اعتبار، ويطلعنا على إقبال الأيام وعلى الأدبار، ثم قال :

---

(1) هو عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج مولى بني أمية، وزير أديب من بيت علم ووقار في قرطبة، ولد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩، ومات ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م.
انظر : الصلة ٣٥٧، الذخيرة م ٢ ق ١ ٣٠٧ – ٣١٨، المغرب في حلى المغرب ١/ ١١٥، قلائد العقيان ١٩٠، إنباه الرواة ٢/ ٢٠٧.

أيا بن عبد الله يابن إلا كـــارم | لقد نحلت يمناك صوب الغمائـــم
لك القلم الأعلى الذى عطل القنا | وفلّ ظباة المرهفات الصـــوارم
وأخلاقك الزهر الأزاهر بالـــربى | ترف بشؤ بوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعـــلى | تظاهر بالســـلف المتقـــادم

وأجـتمع عند أبيه لمة من أهل الأدب ، وذوى المنازل والرتب ، فى عبسة غـيم أعقب مطراً ، وخط فيه البرق أسطرا ، والبرق يتساقط كدر من نظام ، ويـتراءى كثـنايا غادة ذات ابتسام ، وهو غلام مانضا برد شبابه ، ولا انتضى مرهف آدابه ، فقال معرضاً بهم ، ومتعرضاً لتحقيق أدبهم :

كأن الهواء غدير جمـــــد | بحيث البرود تـــــذيب البرد
خيوط وقد عقدت فى الهـــوى | وراحة ريح تحل العقـــــد

وشـرب فى دار ابن الأعلم فى يوم لم ير الدهر فيه إساءة ، وليل نسخ نور أنســه مســاءه ، ومعهــم جملة من الشعراء ، وجماعة من الوزراء ، منهم أبناء القبطرية فوقع بينهم عتاب وتعذال ، وامتهان فى ميدان المشاجرة وابتذال ، آل به إلى تجـريد السيف ، وتكدير ما صفا بذلك الخيف ، فسكنوه بالاشتزال ، وثنوه عــن ذلك النزال ، ونالوا الكؤوس فى وداده ، وكفوا بذلك بعض احتداده ، حتى مالت به نشوته ، وحالت بينه وبين حتفه سلوته ، فقال :

قل للوزيرين أنى مخلص لهمـــا | فى السرو الجهر من عوديهما عودى
وشاهد الصدق لى ما فى ضميرها | فليس يخلص ودا غير مـــودود

وحضر معهم فى مجلس سواه . انتشر به من المحاسن ما كان طواه . فبيناهم يـأخذون بأطـراف الأحاديث . ويغلون فى تلك الدمائيث . إذ قعد إليهم رجل طويـــل الـلحية قصير الإدراك . قليل التخلى عن الناس والأتراك . فكل عاين سخفه . فحاول وصفه . فما وافق أحدهم المعنى . وما كان فيه ممطر ولا مغنى . فقـــــــال :

ولحية طولها ميـــــــــل ... قصر عن إدراكها الطـــول

(وقال تهنئة بنيروز)

هو النيروز أمك للتهـــانى ... وللبشرى بمقتبل الزمـــان
فهنأك المهيمن ما حبـــاه ... وتحبوه على نـــــاء ودان
فأن تك سابقاً فى كل فضـــل ... كما سبق المبرز فى الرهـان
سبقت فما تضاهى فى سنـــاء ... أشف به الشجاع على الجبان
حللت من العلى أعلى محـــل ... تقاصر عن علاء الفر قـــدان
فظاهر بالمكارم والمعالـــــى ... مظاهرة المهند للسنـــــان
لهمت بكل مكرمة وبـــــر ... إذا ما هلم غيرك بالغوانـــى
وشدت العالمين فهى وعليـــاً ... مذاعا فى الأقـاصى والأدانى
وحلماً رجحاً بهضاب رضوى ... وعز ما مثل بارقة اليـــمانى
وجوداً فائضاً فى كـــل حين ... إذا ضن الحيا والمرزمـــــان
ونثراً معجزاً فى كل فـــن ... ونظماً غض من نظم الجمـــان
فمن عبد الحميد ومن علىّ ... ومن سحبان والحسن بن هانى
ومن أوس بن حارثة وقـــس ... وقيس وابنـــــه والأحمران
قدمت مهناً فى كل حيـــن ... عزيز الجار مألوف المغـــانى (*)

(*) هـــذا آخـــــر الكتاب .